احمد توفيق المدني

مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار

نقيب اشراف الجزائر

1246 - 1168 هـ

1830 - 1754 م

رقم النشر 352 / 74
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ©
الجزائر 1974

عزل يحي آغا ، والسبب في ذلك

اجتمع يحي آغا بالباشا ، اثر رجوعه ، واخبره بما فعل مع الباي ، واعادة الراحة لوطن قسنطينة . وقال له انه انفق على المحلة من عنده ، اما جملة ما جمعه من المال فقد تركه للباي . فقال له الباشا : وهل اعانك الباي بشيء على مصاريفك ؟ فقال له : انه لم يعطني شيئا : فقال له : جمعت له كل هذا المال الذي ذكرت ولم يعطك شيء فهذا من العجب . فحلف له براسه انه لم يعطه درهما ، الا هدية من الخيل والبغال والكسوة الجريدي (64) لا غير . ولم يدفع اي شيء للخدام . فاغتاظ الباشا من كلامه ، وكتب للباي يلومه على ما فعل من تقصيره مع الآغا .

فلما وصل الكتاب للباي وقراه وعلم ما فيه ، اجاب الباشا بلين وخضوع ، ووضع فيه اشارات ليمهله ويعذره الى ان يدنش ، لان الباي الجديد يدنش سنة ولايته ، ثم بعد ثلاثة اعوام كالعادة . فسكت الباشا عن تلك القضية .

وكانت قد وقعت قبل ذلك وحشة بين الباشا والآغا ، سببها ان الآغا كان كثير الغيرة ، لكنهما لم يظهرا ذلك لبعضهما . وعندما وصلوا قسنطينة امر الباي بضيافة المحلة . ثم امر بتهيئة هدية من المال والاثاث الثمين ، وكتب كتابا بعث به مع الهدية الى الآغا . فعندما وصلته الهدية اجاب عن وصولها ، وذكر كل شيء من الهدية بعينه ، فلما وصل الكتاب للباي ، وكان فطنا طواه واخفاه عنده ، ثم انه بعد ثلاثة ايام بعث له هدية اخرى ، وكتابا ، فاجابه كالاول وذكر له الهدية . وهكذا الى واصله بمال كثير . وكان الباي قد وعد يحي آغا بانه يسلم له ماية الف محبوب ذهبا ، اذا هو سعى له في توليته بايا ، فلما تولى لم يعطه المائة الف محبوب ، واعتذر بقلة ما بيده ، ووعده بانه يبعث له بالعدد عندما يتسير حاله .

فلما دخل الصيف ، اتى باي قسنطينة مدنشا ، والتقى مع الباشا ، ولبس الخلعة كما هي العادة ، ثم دفع عوائده ، ودفع لزمته ، وفي اليوم الثالث اختلى به ، وسأله عن قضيته مع يحي آغا ، فطلب منه الامان فامنه ، فاخبره بما وقع له ، وبمعاملته معه ، فقال الباشا : ان يحي آغا لا يكذب علي ، وهو مصدق عندي ، وانت كذلك ، فانا لم اعرف الحق من الباطل . عند ذلك اظهر له مكاتيب يحي آغا ، فيما وصله من عند الباي ، فعند ذلك اغتاظ الباشا غيظا شديدا ، لانه كذب عليه ، فبعث له في الحين واحضره لديه . فلما دخل ووجد الباي عنده طار عقله ، فامره بالجلوس وقال له : هذا الباي الذي

ذكرت انه لم يعطك شيئا في مقابلة مصروف المحطة ، يدعي انه أعطاك ما هو كيت وكيت ، فانكر انكارا كليا . فعند ذلك اظهر له مكاتيبه ، فخرس لسانه ولم يقدر على رد الجواب واسود وجهه ، وعندها صالح الباشا بين الباي والآغا ، وخرج لموضع حكمه ثم أمر الباي أن يذهب الى يحي آغا في موضع حكمه ويتسامح معه ولا يظهر له العداوة ، ففعل ذلك ، وجلس عنده ، واظهر له المحبة ، وطلب منه علامة المصالحة .

وكان الخزناجي ذلك الوقت شاوشا عند أحمد باي أيام كان خليفة ، وكان لا يحب الآغا وكان ايضا صهر الباشا ، فاتفق مع الباي ومع صهره وكيل الحرج ضد الآغـــا .

فلما أتم أحمد باي ضيافته ذهب لقسنطينة ، ثم جاءت مراكب الفرنسيس ووضعت البلونكو (65) وبقي الأمر كذلك . اما يحي آغا فقد خرج الى الابراج والحصون ورتبها ، وذهب لسيدي فرج وبنى هنالك حصنا من اثني عشر مدفعا ، وجعل العسة من العسكر الـــجديد (66) في كل حصن وعين لهم المؤونة ، والخزناجي يتبعه بالسعاية شيئا فشيئا لأنه لا قدرة له على مصادمة سيده علي الآغا ، لأنه عزيز عنده اكثر من جميع الوزراء ، الى اليوم الذي أراد الله فيه هلاكه . وكان قد فهم ان الباشا غاضب عنه ، فصار يعتذر بالمرض . فقال الخزناجي للباشا ان الآغا لا يعطي المـــؤونة للعسكر الا البشماط (67) القديم والبرغل الذي نصفه تراب ، والسمن الحار (68) ، فلا يقدر العسكر على اكله فارسلوا قائدا من قواد الآغا وهو مريض فاتاهم بشيء من البشماط والبرغل ، فلما رأى الباشا ذلك اشتد غضبه عليه ، وعزله . ونفاه الى البليدة ، فسكنها ، وولى صهره وكيل الحرج آغا في مكان يحي .

ويحي آغا هذا ، هو احسن رجال تلك الدولة عقلا ومعرفة . ثم انهم بعد نفيه للبليدة بعثوا في اثره وخفتوه في بحيرته .

والـــذي تولـــى بعده ، مثله مثل الحمار ، لا يعرف الا الاكل والنكاح ، لعنة الله عليه .

الخلاف الاخير مع الفرنسيس

تقدم الكلام على قضية الذمي مع الاسبانيول في أمر الدين ، وان ما دفعوا له لم يف بخلاص ديون الذمي ، وان الباشا امره بان ينظر كيف يدفع للناس ديونهم فقال له ان له مالا بذمة فرنسا . فارسل الباشا للقنصل (69) وتكلم

معه في قضية هذا الدين وتكلم معه ايضا في قضية القالة على ان الفرنسيس أحدثوا بها بناء ووضعوا بها مدافع فأجاب القنصل بانهم لم يحدثوا بها شيئا ولا زالوا بالقالة كما هي عادتهم ، فقال له الباشا : بل لقد اتاني الخبر الصحيح بانكم أحدثتم بها مدافع . وها انا كتبت للراي (70) على القالة ، وعلى دين الذمي ، فابعث له بهذا الكتاب وسلمه اياه فخرج من عنده وبعث بالكتاب .

فعندما وصل الكتاب للراي أجاب القنصل على القضيتين ولم يجب الباشا ، وقال للقنصل اخبر الباشا ، باننا لا نجيبه ، واذا احتاج شيئا عندنا لا يجب ان يكاتبنا راسا وانما كلامه معك ، وانت تتكلم معنا . فعندما وصل الجواب الى القنصل سكت ، لكونه لا يقدر ان يجيب الباشا بهـذا الكلام . وبقي الأمر مسكوتا عنه الى يوم من الايام ، بعث الباشا للقنصل وساله عن الجواب فاخبره بان الراي لم يجب . وبقي الامر كذلك ثم بعث له ايضا ، فاجابه بان الجواب لم يات الى أن جاء شهر رمضان . فلما كانت ليلة العيد ، طلع القنصل ليهنيء الباشا ، وكان من عادته انه لا يدخل يوم العيد مع القوانصة (71) ، لانه في القديم كان تخاصم قنصلا الانكليز والفرنسيس على السبق بالتهنئة ، ووقع بينهما ما وقع ، فامر الأمير يومئذ بان يهنئى قنصل الفرنسيس ليلة العيد ، ويهنيء قنصل الانكليز يوم العيد . واصبحت تلك هي العادة .

فلما التقى القنصل مع الباشا وهناه بالعيد ساله الباشا عن الجواب فاجابه اتاني ، وهو كذا وكذا ، فقال له الباشا ، ولماذا لم يجبني انا ؟ فقال له القنصل مقالة الراي ، وما كتب له ، فاغتاظ الباشا لذلك وكانت بيده منشة ينشن بها الذباب ، فضربه بها وشتمه وشتم الراي ، ثم رجع القنصل لداره وسكت (72) ولم يفش شيئا من ذلك . الى ان فشا ذلك الخبر ، وسمعه بعض القناصل ، فاجتمعوا وبعثوا لقنصل الفرنسيس وسألوه ، فاخبرهم بالواقع وقال لهم : اني كنت كتمت الأمر ، والآن لما فشا بين الناس ، فانـا ساخبر دولتي ، وعندئذ أخبر دولته ، وبقي ينتظر الجواب ، وكان ذلك آخر الربيع من تلك السنـــة (73) .

استعـــداد

ثم امر الباشا بتعمير الحصون وعين العسكر ، واعطاهم الصناجق ، وعين العسة متاع الطوبجية (74) يبيتون بالأبراج يعسون ، وكثرت عليهم الخدمة ، وضاق خاطرهم ، حتى صاروا يدعون بالنصر للعدو وظهر لهم انه

اذا اخذ البلد (75) فانهم يستريحون . ومع ذلك فهم كانوا مستورين بستر الله ، ياخذون الراتب والقمح ، ويشتغلون مع ذلك ، حتى صاروا في نعمة من العيش ، وقد اذاقهم الله المكروه لكفر النعمة ، قال تعالى : ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم .

وكانت حينئذ وقعة المورة (76) . واتفق الرايات على راى واحد ، وبعثوا للسلطان ان الكريك يستقلون بانفسهم ولا يتصرف فيهم احد ، على ان يعطوه الخراج الذي كانوا يعطونه سابقا . فوافقهم السلطان على ما ارادوا وامر ابراهيم باشا رحمه الله بحمل عساكره ورجوعه الى بلاده . وحمل المدافع التي كانت بالمورة وامر المسلمين الذين كانوا بالجزران يذهبوا الى ازمير وغيرها من البلاد .

وبعد ذلك ظهر لعسكر السلطان الانكشارية (77) ان يخلعوا السلطان وان يولوا غيره فوقع بينه وبينهم ما وقع وقتلهم عن آخرهم ، وقضيتهم معلومة(78) وامر السلطان بكتابة عسكر النظام فكتب ما وجد في تلك الأيام .

الحرب التركية الروسية

وبعد مقتل الانكشارية ، هاجم الموسكو بلاد الدولة ، واخذوا وارنة (79) بعد قتال كبير ، واخذوا ادرنة (80) من غير قتال ، فاتفق الانكليز والفرنسيس وجميع الأجناس على رد الموسكو لبلاده ، وان يرجع للسلطان كل البلاد التي اخذ . فخرجوا اليه ، وردوه لبلاده ، على ان يعطيه السلطان مصروفه والتزموا له بذلك ، وردوه ، والزموا السلطان باعطاء المصروف ، فبعث السلطان الى محمد علي والي مصر والى طرابلس وتونس والجزائر لكي يعينوه .

وفي سنة 44 (81) قدم قبجي باشا كي ياخذ الدراهم ، وسلم للامير امر السلطان بان يكتب عسكر النظام . لكنه رد القبجي باشي خائبا . وقد قيل انه قال له : ادفعوا انتم للموسكو ما وجب عليكم . اما ما وجب علينا فابعثوه لكي نعطيه من افواه المدافع . فلما رجع القبجي باشي واخبر السلطان الأعظم بذلك ، اشتد غضبه على الباشا .

الجيش النظامي

ثم ان الباشا ، بعد رجوع القبجي باشي ، اراد ان يكتب العسكر النظامي من عسكر زواوة (82) القديم فتكلم مع وزرائه وعماله ، وقال لهم اني اريد ان

اكتب العسكر النظامي من جند زواوة بان يبعثوا أولادهم ليكتبوا في دفاتر الجيش النظامي وولى على ذلك العمل اربعة رجال من آغوات الترك وجعلوا كتابا اربعة شواش وامرهم بان ياتوا باولاد زواوة ، فاتـــوا بهم في اليوم الموعود ، وكان الباشا حاضرا ، فعندما حان وقت الكتابة استشار خوجة الترك الباشا وقال له اين نكتبهم ، وهل نجعل لهم دفترا وحدهم ، ام نضعهم في دفتر العسكر (83) فامره الباشا بكتابتهم في دفتر العسكر ، فكتب منهم نحو المايتين وهو حاضر ثم ارتقى للسراية فلما غاب عنهم ضرب الخوجة الارض بالقلم الذي بيده ، ودعا بالتركية الله مستحق وارسن ، وذلك من شدة غيضه على كتابة أولاد العرب . وبلغ خبره للامير . وكان عليه ان يعاقبه في نفس الوقت ، لكنه سكت وصبر ، وكتب منهم نحو الالفين ، ثم قطع الكتابة .

اعمال عمرانية ودينية

وفي هذه السنة ، هدم الامير مسجد سافير واعاد بناءه في نفس السنة وجعل درسا لصحيح البخاري كل يوم بجامع خضر باشا ، على ان يختم كل شهر ثم جعل حزبا بالجامع الاعظم ، وفيه اربعون طالبا ، يقران سورة انا فتحالك فتحا مبينا كل يوم وقت الزوال .

الحرب مع الفرنسيس

في هذه السنة . قدم الاميرال الفرنسي (84) في سفينة ، وجعل صانجاق احمر فوق صاريها ، ودخل وارسى السفينة تحت الابراج . وذهب اليه قنصل الساردو ، فقال له الميرانتي انني اتيت من اجل الصلح ، فرجع القنصل واخبر الباشا بمجيء الميرانتي ليجعل معكم الصلح ، ومن الغد ، نزل الميرانتي وطلع للباشا والتقى معه ، وتكلما ، ووقع الوفاق بينهما ، ورجع الميرانتي للسفينة ، واستبشر الناس في ذلك اليوم . وفي اليوم الثالث ، طلع لاتمام شروط الصلح ، فلما تراضوا بينهم ، ولم يبق الا اطلاق مدافع الصلح ، طلب الميرانتي من الامير ان يعطيه رجلا من اقل خدامه ، يحمله معه الى فرنسا ، على اعين الاجناس (الدول) ، لكونه وهو ميرانتي ، ظهر له ان يجعل معه رجلا ، رفعا لقدرهم ، وليقولوا في كتبهم اننا بعثنا اليهم رجلا ، وهم بعثوا الينا رجلا ، جبرا لخاطرنا .

فاشتد غضب الباشا حينئذ ونفخ فيه الشيطان واخذه العجب والكبر ، وظن ان لا يغلبه أحد وقال له : لا نجعل الصلح بيني وبينكم ، فضلا عن ان اعطيكم

رجلا من عندي . والآن يجب ان تسافر حالا ، فقال له الميرانتي : لا نستطيع السفر الآن من أجل الريح ، فلو خرجت وحملت المخطاف فان السفينة تحرث في الارض . فقال له الباشا : الأجل ساعتان ، فاما ان تحمل مخاطيفك وتذهب أو تغرق سفينتك ، فذهب الميرانتي ولم يقدر على السفر ، وامر الباشا ، وكيل الحرج ، وباش طبجي ، ان يضربوا السفينة اذا انتهت الساعتان ، ولم يخرج ، فلما انتهت الساعتان ضربوه ، فقام في ذلك الوقت وخرج ، وهم يضربونه ، وهو سائر حذاء الأبراج ولا يضرب ، حتى انه أغلق فتحات مدافعه وقد وقع للناس من ذلك حزن كبير ، وأهل المعرفة قالوا : الآن أخذنا .

ولما وصل الميرانتي لبلاده ، كتبوا للسلطان محمود ، واخبروه بما فعل معهم ، فقال لهم : هؤلاء الناس طغاة ، فاذهبوا اليهم ، واحملوا جميع من بها من الأتراك وائتوني بهم ، وخذوا مصاريفكم من خزنتهم ، وأتوني بشيء منها ، واتركوا بها نصيبا لمصروف البلد ، واجـــعلوا عليها من يقوم بامرها من اهلهـــا (85)

أما قنصل الفرنسيس السابق ، فقد كان قد هرب من قبل مع سفينة قرصان فرنسية ، وخلف وكيله قنصل الساردو على داره وامتعته (86) .

وعندما قرأ الفرنسيس كتاب السلطان شرعوا في تعمير عمارتهم وعزموا على القدوم للجزائر .

مهمـــة الحـــاج خليل

بعد ذلك بعث رجال الدولة العثمانية للحاج خليل افاندي وارسلوه للباشا وأمروه بان يجعل الصلح مع الفرنسيس قبل ان يقدموا بعمارتهم . فقدم الحاج خليل سنة 45(87) وتكلم مع الباشا ، ورغبه في الصلح ، وقال له : اتركني انا اذهب لفرنسا واجعل لك الصلح معهم فلم يقبل منه ذلك . وبعث له محمد علي والي مصر كذلك ، فلم ينصت لكلامه ، وهو لا يزيد ، عدو (89) الله ، الا عنادا وتجبرا .

تلبية دعوة الجهاد

اما سبب تجبره ، فهو انه كان بعث الى زواوة فاجابه بقية جالوت وكتب له كبراؤهم بقية فرعون لعنة الله عليهم وعليه ، فمنهم من قال له انه ياتيه باربعين الف رجل ومنهم من قال له انه ياتي بثلاثين الف رجل ، ومنهم من قال بعشرين الفا . وهكذا سائر الاعراش سهلا وجبلا . فلما قرأ ذلك اجتمعت

لديه ملايين يظهرون له الرغبة في الجهاد وهم قوم مثل البهائم ظهر لهم ان ذلك القتال انما هو كقتال بعضهم لبعض ، قتال حمية الجاهلية ، وقد ذكروا له الالوف لانهم لا يعرفون مقدار الالف ، فظنوا ان المائة هي الالف . والباشا نفسه ظن ان هذا القتال مثل قتال الرعية ، والا فكيف يقابل جنسا قويا كجنس الفرنسيس من غير عدة ولا عدد .

المعـــركـــة الاولـــى

وفي ليلة المولد النبوي الشريف ، بعث الأمير فركاطة ، وسكونات خرجت في الليل لمقاتلة مراكب البلونكو (90) فلما اصبح الله بخير صباح مولده عليه الصلاة والسلام ، تقاتلوا مع السفينة ، وظهر نصر الله على المسلمين في ذلك اليوم ، وذهبت عنهم السفينة بعد القتال ، ورجعوا الى المرسى واعطى الباشا للمجاهدين خمسة عشر ربع سلطاني لكل واحد .

خـــرافـــات وكذب

وبقي الباشا ينصت لشياطينه اهل البدع من الاحرار والعبيد ، يقولون له رأينا في (مغامنا) كذا وكذا . والأخبار تتوارد عليه من كل ناحية بانباء العمارة الفرنسية ، وعساكرها ، وانهم سينزلون بسيدي فرج (91) .

وسمعت رجلا من اتباع الآغا يقول : اتى قنصل النابوليطان يوما الى الآغا ، وقال له : ان عمارة الفرنسيس قادمة ، وستنزل بسيدي فرج . فلو جعلتم متارز (92) في كـــل ربوة وعمرتموها بالمدافـــع ومهاريس (93) البومبة ، ووضعتم الف عسكري على كل متارز ، فاذا نزل الفرنسيس في البر فانه لا يستطيع ان يزيد عن موضعه . فضحك الآغا ، وهو صهر الباشا ، واجابه : اذا جاءت عمارة الفرنسيس ونزل جندها ، فاقدم لكي ترى كيف يقص العرب والقبائل رؤوس الفرنسيس فلما خرج من عنده ونزل من ادراج العلي (94) ضرب بيده علي فخذه وقال : هذا الحلوف (95) ، انا اريد صلاحه وهو يقول مثل هذا الكلام (96) !

أما أهل البلد ، فقد كانوا في محنة لا يقدرون على الكلام ، خوفا من الظلم والتكبر والتجبر . وفي يوم من الأيام تكلم رئيس من رؤساء المراكب الجهادية مع بعض الناس في أمر الفرنسيس ، فقال ان هذا جنس قوي لا نقدر عليه ، ولا عندنا عدة ولا عدد مثله او كلام مثل هذا فبلغ خبر ذلك الى الباشا ، فبعث

من يقول له : قسما لو لم يكن رجلا مسنا ، لدفنته في القبر وهو حي جزاء الكلام الذي تكلم .

مؤامـــرة خائبـــة

وبعدما وقع هذا ، اتفق البعض من خوجات الترك على قتل الباشا ، وقدموا واحدا منهم اسمه مصطفى خوجة ، وكان رجلا عاقلا وتعاقدوا مع بعضهم بعضا ، على أنهم عندما يدخلون يوم عيد الاضحى علـــى الباشا ، لتهنئته بالعيد ، يقتلونه ويولون مكانه مصطفى خوجة المذكور ، وكان اتفاقهم هذا في ضريح سيدي بنور ، بجبل بوزريعة . ووكيل الضريح التركي اعمى ، خلده الله في النار أعمى على وجهه ، ما دام أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، فبعث للباشا واخبره بصنيعهم . وكانت ليلة العيد ، فبعث حالا الى مصطفى خوجة وقتله في تلك الليلة ، ومـــن الغد قبض على لقمان خوجة وابراهيم الدخاخني ، وقتلهما . وقبض على الأعمى ايضا ، فصار يعتذر فنفاه الى قرية من القرى . وعفى عن الآخرين والله أعلم ، انه لولا خوف الفتنة ، وقرب وصول العمارة لكان قتل كل من حضر هذا الجمع من الترك .

وفي الحقيقة ان اللـــه اذا أراد شيئا هـــيأ أسبابه ، فسكت الناس ، وأدخل الله الخوف الى قلوبهم ، وصاروا لا يقدرون على الكلام ، حتى كأنهم نيام أو سكارى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

عظة للسلطان ، ومهمة طاهر باشا

وعندما قرب أوان خروج العمارة الفرنسية من طولون أتت رسائل من تونس تخبر أن السلطان محمود راجعه يوما من الأيام أحد عبيده يلقب بفزلار آغاسي وبلساننا قائد الدار ، وقت دخوله للحريم . فلما رأى ابناءه ، أخذ منهم واحدا فقبله فقال له العبد : هذا ولدك اخذك الحنان عليه فكيف لا ياخذك الحنان على أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفـــيهم صبيان ، وكهول وعلماء ، وأشراف ، وصالحون ، وشيوخ ، وأيتام ، وأرامل ، وقد أذنت للفرنسيس باخذهم ، ولم تشفق عن هؤلاء المسلمين لأجل رجل عصاك . فلو بعثت اليه احد خدامك ياتيك به ، وتنتقم منه . وان منعوه عنك تسلط عليهم من ينتقم منهم (97) ، فبهت السلطان لهذا القول ، وقيل ان دموعه أخذت تنحدر على لحيته ، وبعث في الحين فعين الطاهر باشا ، على أن يذهب لفرنسا ، كي يرد العمارة ، فرحم الله هذا العبد الذي تكلم بكلام الفحول ، حتى رجع السلطان

عما صدر منه ، ولم يصدر هذا الكلام من الأحرار ، وفي هذا القدر كفاية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما طاهر باشا ، فانه ركب فركاطة وقدم مقابلا للجـــزائر فعندما لم يجد العمارة هنالك ، ذهب الى مرسيليا ، بقصد ان لا يترك العمارة تقدم للجزائر ، والسلطان هو الذي يأخذ بثأر الفرنسيس من الباشا ، فلما وصل الى مرسيليا أوقفوه هنالك ، ثم خرجت العمارة .

وقبل ذلك ، قال الباشا للناس ، من أراد الحج فليتهيأ لذلك (98) ، وعين ثلاثة مراكب من مراكبه الجهادية لتذهب معهم ، لحفظهم من الكريك ، وعين أمين الصرة (99) وأمر القبطان مصطفى رايس ان يوصلهم الى الاسكندرية ، ويرجع . فلما ذهبوا وقعت الحرب من ورائهم فبقوا في الاسكندرية الى ان نفذ الله قضاءه فينا .

وقائع أولى قبل قدوم العمارة

قبل قدوم العمارة الفرنسية بأيام رفض البحر سكونتي قرصان فرنسيس ، على ساحل يسر ، وكان الباشا قبل ذلك قد نادى في الرعية ، انه اذا أتى الفرنسيس فكل من قطع رأسا للعدو وأتاه به ، فانه يأخذ ماية دورو . فسمع الأعراب الذين لا دين لهم ففرحوا بذلك ، وهو مراده السفه عليهم . فعندما توقفت السفينتان على الساحل ، قبض الناس على النصارى ، ونهبوا ما في السفينتين وبعثوا للباشا ، وأخبروه بالواقعة ومنهم من قتل النصارى وأتوا برؤوسهم ، ومنهم من أتوا بهم أحياء وقدم معهم اعراب ذلك الوطن كلهم ، ثم انهم لما قدموا اليهم ، وهم مايتا رجل فوجب لهم عشرين الف دورو . ووقع النزاع بين الأعراب وكل واحد من القادمين يريد ان يأخذ الدراهم . فدفع البـــاشا عشرين الـــف دورو للآغا ، وقال له : اخـــرج بهـــم خارج المدينة وجردهم (100) ، وكنت انا قادما من البستان في ذلك الوقت ، فأخذني الآغا معه من باب البلد ، لكي اعين كاتبه في تجريد الأعراب ، فذهبت معهم الى الفندق الجديد الذي بنوه فوق القصبة خارجا عنها ، وابتدانا نجرد الناس ، ووقع الخلاف بين الأعراب ، ولا قدرنا نعرف هذا من هذا . وكثر اللغط فيهم ، وبقينا كذلك وقتا طويلا ، ولم نحصل على طائل ، فانهينا الأمر الى الآغا ، فقال اتركوا هذا التجريد الى غد . فذهبت انا ، ولم ارجع لهم ، ومن الغد ، أخذوا عدد الأعراب ووزعوا النقود على عدد الرؤوس ، وبعد اتمام ذلك ، بعث لي الآغا خمسة دورو منها ، أجرة ما جردت لهم في اليوم الأول .